# الصومال : آثار القبلية فى السياسة
# وآثار السياسة فى القبلية*

أحمد محمد ديريه (تورنى)**

## ١ - مدخل :

يقع الصومال فى الطرف الشمالى من شرقى إفريقيا ، حيث يطل على المحيط الهندى بسواحل يصل طولها إلى ثلاثة آلاف ومائتى كيلومتر . تمتد من باب المندب إلى جهة الشرق على طول خليج عدن حتى رأس جاردافوى ، ثم باتجاه جنوبى غربى على طول المحيط الهندى ، إلى رأس كيامبونى عند الحدود مع كينيا وهو بالتالى يشكل الجزء الأعظم من القرن الإفريقى .

ومساحة الصومال حوالى ٦٤٠ ألف كيلومتر مربع ، وتساوى هذه المساحة مجموع مساحتى فرنسا وإيطاليا مجتمعتين(A) . ويصل عدد السكان فى الصومال (داخل جمهورية الصومال) حوالى عشرة ملايين (٩٩٤٧٧٠٦) نسمة، وبذلك حسب الإحصائيات لعام ١٩٩٦(B) .

---

* ترجمة أحمد ديريه غالب ، وحسن محمد عول .

** باحث (صومالى) بالجامعة الأمريكية بالقاهرة .

(A) Gibbons, 1917 : 106 .

(B) Diriye, 1996 A .

( مجلة البحوث والدراسات العربية ، العدد ٢٦ ، ديسمبر / كانون الأول ١٩٩٦ . - ص ص ١٩٥ - ٢٤٠ ) .

ونحن نعلم أنه لا يوجد فى تاريخ العالم ، بلد مرت عليه ٦ سنوات بدون حكومة إلا الصومال ، ولهذا فإن الموضوع يهمنا لمحاولة أن نفهم المتضررين من هذه الأزمة والمجتمع الدولى جذورها المريرة . ورغم أن القبلية ليست العامل الوحيد الذى تسبب فى خلق الفوضى ( فقدان السيطرة ) فى الصومال ، إلا أننا سوف نحاول ان نشرح بطريقة علمية التفاعل المشترك بين القبلية والسياسة فى الصومال

إن قيمة أى بحث من البحوث يتوقف على مدى أهمية الفوائد المكتسبة منه وذلك عند وصول الأهداف المرجوه من هذا البحث . أما أهم الأهداف فى هذا البحث فهى :

١- أن يفهم المجتمع الصومالى ما هى العوامل والأسباب الرئيسية التى خلقت الأزمة، وذلك كى يتم الابتعاد عنها فى المستقبل .

٢- أن يفهم المجتمع العالمى تلك الأزمة المحيرة التى أصابت الصومال وأن يأخذ العالم دورا للبحث عن حل لهذه الأزمة.

٣- كما أننى أقترح بعض التوصيات ، انطلاقا من هذا البحث .

وقد نقلت هذه المعلومات الموجودة فى البحث من ثلاثة مصادر .

- أشياء مطبوعة مثل الكتب والمطبوعات الإعلامية .
- مقابلات شخصيه وحوارات أجريتها مع سياسيين ، مثقفين ، متعلمين ، وأشخاص عاديين .
- التحليل السياسى من قبل المحللين المحليين والأجانب معا .

## ٢- السياسة والقبلية :

إن أهم مجال تؤثر فيه القبلية هو السياسة وإدارة الدولة وقبل أن نتناول هذا الأثر يجب أن نعرف القبلية بأنها « وعى ( أو تعصب ) قبلى ورضاء عن حصول أكثر مما

تحصل عليه بقية القبائل الأخرى ، أما القبيلة فهى فئة اجتماعية تتكون من بطون وأجيال (نوع من النظم الطائفية ) » . ولكى نعرف كيف تتفاعل القبلية مع السياسة يمكن أن نعرف السياسة بأنها « علم وفن يؤدى إلى قيادة الدولة وهو بدوره نظام إصلاح معين مختار من أنظمة أخرى ، وذلك وفقا للظروف المحيطة بها لتوجيه قرارت حاضرة ومستقبلية »[١] .

هناك عدة أخطاء من بعض العلماء لتعريف كلمة السياسة حيث يعرفونها بأنها خيانة ، ويبدو أن هؤلاء البعض يفهمون كلمة السياسة بأنها الخيانة ، الكذب ، الوعود الكاذبة ، التملق وعدم توافق بين ظاهر الفرد وباطنه .

مادمنا قد عرفنا بأن السياسة ليست خيانة بل هى علم وفن تعمل على توجيه الدولة فيجب أن نتناول العلاقة التى تربط السياسة بالقبلية .

هناك نظريات مختلفة تتعلق بكيفية نشأة القبلية فى السياسة وكيفية تأثير السياسة فى القبلية ، يرى بعض العلماء أن القبلية شعور طائفى يتماشى مع المستوى السياسى القبلى وهو المستوى الثانى من مرحلة تطور السياسة ، ويرى بعض آخر نقيض ذلك حيث يقولون : إن نشوء دولة مركزية فى مجتمع لم يسبق له حكم من دولة مركزية سببت تداعيات أفراد القبيلة مما يثير عاطفة قبلية أخرى ، وقادة الأفارقة يرون أن القبلية هى التى دمرت أحلامهم التى كانت تؤسس على وحدة الأفراد ، وبناء عليه انتقدوا القبلية بحماس شديد ، ويرى المحللون السياسيون اليساريون أن القبلية هى الوسيلة التى تؤدى إلى نمو الطبقات حسب الظروف السائدة ويرون أن التصدى لها اعتقاد خيالى أما المفكرون الذين يهتمون بالتنمية الاقتصادية ، فيشعرون أن القبلية عقبة تقف أمام التنمية الاقتصادية ، وأما الصحفيون فيصفونها بصفات متشددة وينتقدونها انتقاداً لاذعا ولقد نشروا تلك الصفات وأعلنوها ، والسياسيون يندهشون من قوتها ( أى قوة القبلية ) ويقولون: يحتمل عدم انتهائها[٢] .

إن قادة الأفارقة الذين حضروا المؤتمر الإفريقى الذى عقد فى أكرا عاصمة غانا

والذى حضر فيه جميع رؤساء الأفارقة عام ١٩٥٨ وصفوا ( القبلية ) بأنها عادة سيئة وعقبة خطيرة تقف ضد الحرية ، والوحدة وتطور السياسة الإفريقية[٣] . ولقد نشرت صحيفة أمريكية أسبوعية أن القبلية قد دمرت تدميرا حقيقيا حلم تطور إفريقيا السوداء. ونستطيع أن نقول : إن العداوة القبلية وصلت إلى مرحلة أصبحت معها دول منظمة الوحدة الإفريقية منقسمة إلى تحالفات قبلية – نشأ عنها خلاف بين الدول الأعضاء[٤] .

والجدير بالذكر أن القبلية لا تنحصر فى البلدان الإفريقية فقط بل هناك الكثير من دول العالم انتشرت القبلية فيها وسببت لهم مشكلة مثل دولة الهند وفيتنام . ومما يثير الدهشة أن تكون القبلية ظاهرة عالمية لم تفهم بعد[٥] .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DE LA RECHERCHE ET DES ETUDES ARABES
عضو اتحاد الجامعات العربية

## المبحث الأول : قبل الاستعمار

ذكرنا – فيما مضى بأن القبلية كانت سلطة بدائية والقبيل الصومالى قبل الاستعمار كان السلطة المركزية التى تجمع الأفراد وتكونهم تحت مظلة قوانين عرفية غير مكتوبة خاصة لكل قبيلة ، حيث كانت تلك القوانيين تعتمد فى معظم الأحيان على خبرة موروثة من تجارب عملية قد حدثت بالفعل . وإن لم يوجد سلطة تنفيذية تنفذ ما تم الاتفاق عليه إلا أن شخصية الفرد الصومالى التى اكتسبها من البيئة التى يعيش فيها والعادات ( Morales ) مثل – الرجولة والقرابة والشهامة والكرامة كانت هى التى تجبر الشرطة لتنفيذ قراراتها . وبناء عليه نستطيع أن نقول : إن القبيل الصومالى كان له حكم قضائى ( السلطة القضائية ) ، ولكن لم يكن لديه سلطة تشريعية وسلطة تنفيذية ، فى الوقت الذى تصنع هذه السلطات الثلاث الدولة الحديثة، ولم يكن لمجلس القضاء القبلى أعضاء دائمون معروفون وإنما كان لأى واحد حق الدخول فى المجلس إذا بلغ سن الرشد أى لم يكن هناك شروط معينة أو مبادئ تنظم اختيار أعضاء مجلس القضاء القبلى .

المنصب الوحيد الذى يدوم كان منصب الرئاسة المعترف به من قبل المجالس القبلية وأعضاء المجالس مثل السلطان ، الملك ، الأوجاس ، الجراد ، ومنصب أدنى من تلك المناصب هو « العاقل » وهو شيخ القبلية ... إلخ .

ولم تكن تلك السلطة التى كانت تحكم القبيلة تؤثر فى مجالات الاقتصاد ، الصحة ، المواشى والمراعى ، المياه ... إلخ وذلك لعدم وجود فروع تتفرع من هذه السلطات وتتفاعل وتحتك مع الناس ( سياسة مؤثرة أو سياسة فعالة ) وكان منصب

شيخ القبيلة منصبًا اسميًا أكثر من أن يكون منصبا فعليا حيث لم يكن فى استطاعة السلطان أن يفرض رأيه على الآخرين ونستطيع أن نقول :كان رأيه استشاريا أكثر من أن يكون ملزمًا .

ويتضح من ذلك أن الحكم القبلى الصومالى يتسم بالمساواة إذ لم يكن هناك سلطة تعطى مكافأة أو جزاء لمن يستحق أو تعاقب من يخالف القانون ، فكل شخص رئيس لنفسه . « كان الصومالى والبوانى يعد سلطانا لنفسه »[٦] كما قال عسكرى أوغندى من قوات الاستعمار البريطانى .

إن البدو الرعاة رغم عدم وجود موطن مستقر لهم إلا أنهم كانوا يؤمنون أن أى حكم لا يؤثر فى الأفراد الصوماليين ( Vertical Weakness ) ولا يؤثر أيضا فى تطورات المجتمع التى كانت سائدة آنذاك بين المجتمعات مثل « الرق ونظام الإقطاع» ، وأيضا لم يكن بين السلاطين عمل منسق مما أدى إلى إضعاف سلطة الحكم ( Horizantal Weakness ) . على كل حال كانت القرارات النادرة التى تنفذ عن طريق زعماء القبائل تحقق مصلحة الأفراد داخل القبيلة الواحدة ومصلحة القبائل المجاورة ، إذ تنفيذ تلك القرارات يسهم فى تحقيق التعايش السلمى بين القبائل .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DE LA RECHERCHE ET DES ETUDES ARABES
عضو اتحاد الجامعات العربية

# المبحث الثانى

## عهد الاستعمار :

لما جاء المستعمرون الأوربيون إلى أرض الوطن اضطروا أن يستخدموا النظام الذى كان سائدا أنذاك وهونظام قبلى ضعيف حيث كانت قراراتهم تنفذ عن طريق السلاطين « شيوخ القبائل » مما أدى إلى تقوية مراكز شيوخ القبائل وذلك لحصولهم على سلطات واسعة لم تكن فى أيديهم من قبل مثل الشرطة والمحاكم ، أما المجتمع الصومالى الذى كان تحت الحكم الأثيوبى فكانت طريقة التعامل بين الصوماليين والأثيوبيين عن طريق وكيل تعينه السلطات الأثيوبية يسمى بلابات Balabat وذلك عندما كانت اليد العليا للحكومة المركزية الأمهرية وأصبحت تلك الحكومة غير قادرة على التأثير فى المجتمع الصومالى البدوى ، لوجود فرق شاسع بين المناخين الصومالى والأثيوبى حيث إن المناخ السائد فى المناطق التى تسكنها القبائل الصومالية صالح لتربية المواشى بينما المناخ الأمهرى صالح للزراعة[٧] .

وكانت هناك دول أخرى تعانى نفس المشكلة أى مشكلة عدم اندماج الشعبين مثل منغوليا والصين ، وكما قال الدكتور / لاتمور : إن نفور رجل المزارع من حياة البدو وتكبر البدو على المزارع أدى إلى تباعد المجتمع الصينى عن المجتمع المنغولى[٨] .

إن تركيز السلطات بيد شيخ القبيلة والتى كانت تسانده الدول الاستعمارية كان أول حكم أثر على المجتمع الصومالى مباشرة مما سبب تفاعل القبيلة مع السياسة . يقول خبراء السياسة وعلم الاجتماع : إن التغيرات السريعة المتتالية التى سببتها الدول الاستعمارية والدول العربية المجاورة هو الذى أثار الشك وتعبئة المجتمع الإفريقى مما جعل ذلك أساسا للقبلية[٩] ، [١٠] ، [١١] .

بينما كان المجتمع الصومالى مجتمع رحل لم يسبق له حكم مركزى كان الدخيل الأجنبى أول من حاول إنشاء نظام مركزى يحكم على عدة قبائل لا تنتمى إلى قبيلة واحدة فى آن واحد .

يمكن أن يقال كما يرى الدكتور / فريد أن القبلية رد فعل ينتج من التركيب السياسى المعقد أكثر من أن يكون مرحلة سياسية بدائية[١٢] .

هذا الحكم الذى جمع بين عدة قبائل مختلفة أنشأ تصرفات جديدة لم تكن مألوفة لدى القادة وذلك بعد ظهور قبائل أخرى ليست تلك القبائل التى كانت تخضع لسلطتهم ويتبعون عرفهم ، ومن تلك العادات والأعراف إساءة استعمال السلطة واستخدام المطلق للمصالح المشتركة بالإضافة إلى ذلك تعيين بعض القادة الذين لا يصلحون لتحمل المسئولية فى مناصب عليا . هولاء القادة كان يمتنع عليهم تولى قيادة القبيلة لعدم كفاءتهم إلا أنه سمح لهم بتولى قيادات السلطة طالما أنهم يحكمون قبائل أخرى ، وعندما وجهت إليهم انتقادات استخدموا القبلية واتخذوها درعا لحماية مناصبهم مما جعل السلطة تفلت من أيديهم .

وبهذا يمكن أن يقال أن القبلية نتاج من ذلك النظام الدخيل الجديد ، بالإضافة إلى ذلك كان هناك حيلاً يستخدمها الاستعمار ضد الشعب الصومالى تستهدف تقسيم الوطن ثم الحكم عليه وذلك وفقا لسياسته المعروفة بـ فرق تسد ( Divide and Rule ) . تقول كبتينس فى الوطن الصومالى: إن الاستعمار هو الذى خلق زعماء القبائل خاصة بعد أن منح لهم حرية كاملة فى المجالات السياسة ، الجيش والاقتصاد حيث إن الدول المستعمرة ترى أن هؤلاء الزعماء يستحقون هذه المناصب بعد أن نفذوا مخططاتهم الاستعمارية وتعاملوا معهم[١٣] .

عندما نمت الروح الوطنية الصومالية وبالتالى ضعفت القبلية ، حاول الاستعمار إعادة تجديد القبلية وذلك لإضعاف الروح الوطنية التى كانت آخذة فى التطور .

يوجد لدى مكتب تسجيل الأراضى المستعمرة ، وهو فرع من مكتب التسجيلات

العام ، رسالة كتبها قائد المحمية البريطانية فى شمال الصومال إلى دولته فى ١٩٠٦/٦/٣٠ يقول فيها :

يجب علينا أن نتصدى لضعف روح القبلية وإحياء دور زعماء القبائل ، ويجب علينا إيجاد رجال لهم تأثير فعال بين القبائل[١٤] ، والمقصود من وراء ذلك هو شيء مفهوم جدا وهو خلق تعصب قبلى للتحريض بين القبائل ، وتضليل الشعب عن شعوره الوطنى وتضليله عن التفكير فى الحرية الوطنية ، وهذه الحيل التى استخدمها الإستعمار ضد الشعب الصومالى ما زال كثير من زعماء صوماليين يستخدمونها حتى هذا اليوم كلما وجه إليهم انتقادات ضد ممارساتهم وأفعالهم فيخلقون جوّا قبليًا ساخنًا بين الناس وذلك حتى لا يحاسبهم أحد عن أفعالهم وأقوالهم .

فى هذه الفترة الزمنية التى خلق فيها الاستعمار القبلية بين المجتمعات الإفريقية أسست فى بعض الدول الإفريقية حركات تطورية مثل نيجيريا وروديسيا وتحولت هذه الحركات إلى حركات تحررية تستهدف تحرير الأراضى الإفريقية من الاستعمار ، وكان هناك حركات أخرى وطنية أيضا[١٥] ، [١٦] .

أسست أول حركة فى الأراضى التى كان يحتلها الاستعمار البريطانى عام ١٩٣٣ حيث أنشأ ناديين كانا يسميان هدية الرحمن والخيرية ، وبعد إنشائهما بسنتين أصبحا يميلان إلى جانب السياسة وأسسا حزب التجمع الصومالى الوطنى عام ١٩٣٥[١٧] وكانت الأهداف التى يسعى هذا الحزب إلى تحقيقها هى تعليم الناس وتثقيفهم وتطوير وحدة القبائل حتى لا ينقسم المجتمع إلى قبائل صغيرة متفرعة ، ووحدة الأراضى الصومالية الكبرى[١٨] .

فى نهاية الحرب العالمية الثانية تحول هذا الحزب إلى الرابطة الوطنية الصومالية عام ١٩٤٧[١٩] وفى الخمسينات تأسست فى الصومال حركتان أخريان هما جبهة الاتحاد الوطنى[٢٠] والحزب الصومالى المتحد[٢١] .

وبعد تأسيس هذه الحركات بقليل تحولت تلك الحركات فجأة إلى حركات قبلية

حيث أصبحت كل حركة تابعة لقبيلة معينة وذلك عندما وضعت أول لجنة تشريعية للمحمية الصومالية البريطانية عام ١٩٥٧م وتم تسمية أعضائها على حسب العرف الذى كان سائداً بين القبائل والذى كان يتم عن طريق تقسيم المناصب بين القبائل، وكان ذلك النظام يتميز بمساندة الاستعمار الذى كان مازال يؤثر فى سياسة الأحزاب[٢٢] .

أما الإقليم الصومالى الذى كان تحت الاحتلال الإيطالى فقد أسس أول حزب تحررى عام ١٩٤٣م وهو ( رابطة الشباب الصومالى )[٢٣] وكانت أهداف هذا الحزب وحدة المجتمع الصومالى ، القضاء على القبلية وتقسيم الشعب ، تعليم الناس ، القضاء على كل العقبات التى تقف ضد المصلحة الصومالية وذلك طبقا للقانون. وكذلك كان من ضمن أهداف الحزب كتابة الحروف العثمانية ( مشروع كتابة اللغة الصومالية ) . وفى الخمسينات أصبح هذا الحزب من أقوى الأحزاب الصومالية حيث أصبح يتمتع بشعبية كبيرة إلا أنه لم يسلم من المعارضة حيث أنشئت عدة حركات معارضة وقفت ضده وكانت تلك الحركات المعارضة مبنية على القبلية مثل رابطة الصومال الكبرى[٢٤] وحزبية دجل مرفله[٢٥]

ويمكننا أن نستنتج من ذلك ثلاثة أشياء مهمة جدًا :

١- خشية الأثار السلبية الناجمة عن القبلية منذ تأسيس تلك الحركات التى تطالب بالحرية .

٢- أهم أهداف تلك الحركات كان القضاء على القبلية .

٣- كانت القبلية أساسا ومعياراً لتقسيم المناصب بين القبائل ومقابل ذلك كانت القبلية أساس الخلافات بين القبائل .

ويمكن القول أن تلك البداية كانت بداية خاطئة أدت إلى أن ندفع ثمنها ، وذلك عندما اثرت القبلية أو الحركات الصومالية التى أنشأها الشعب الصومالى بطريقة

موحدة وهذا الطريق الخاطئ هو نفس الطريق الذى مازلنا فيه حتى الآن .

ويمكننا أن نسميها بداية لا بأس بها ولكنها انتهت بنهاية غير طيبة وذلك بالنظر إلى الحرية ، ونظام الحكم العسكرى ، والحركات المعارضة ولكن الأخطاء التى نتحدث عنها يمكن معالجتها كما يمكن معالجة أى مرض وذلك عند اكتشاف ومعرفة الجرائيم التى تسببت فيها ( Diagnosis ) ويمكن أن يكون سبب ذلك كما تحدثنا آنفا أن تلك الحركات كانت أول حركات تأسست وحكمت على قبائل مختلفة .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

## المبحث الثالث : عهد الحرية والقبلية

### أولا : الدولة المدنية ( ١٩٦٠ - ١٩٦٩ م )

معظم الدول الإفريقية بما فيها الدولة الصومالية تذوقت طعم الحرية فى نهاية الحرب العالمية الثانية عندما عاد الذين اشتركوا فى الحرب العالمية إلى أوطانهم حين عرفوا وفهموا معنى الوطنية ، وما دام الشعب الصومالى لم يشهد نظام حكم صومالى قبل الاستعمار ، وحين لم يكن هناك كفاح شعبى استمر فترة طويلة يطالب بالحرية، فإننا يمكن أن نشعر بأن الصوماليين أسسوا نظامًا مركزيا ( دولة ) ١٩٦٠ م رغم عدم بلوغ النضج السياسى الكامل وعدم وجود الكفاءة اللازمة للحفاظ على تلك الدولة .

ويبدو أن تلك المرحلة الطفولية للسياسة الصومالية قد أدت إلى زيادة تداخل بين القبائل والاحتكاك السياسى مما أدى بدوره إلى إثارة العاطفة القبلية .

فى ذلك الوقت أى عند تأسيس أول دولة صومالية ، أصبح الوضع يزداد سوءا مما أدى إلى إضعاف حماس الوحده وروح الوطنية . وبلغت العاطفة القبلية ذروتها .

إن أى نظام فى العالم قد تقف ضده عقبات لم تكن فى الحسبان ويمكن تجاوزها فى نهاية المطاف إذا وجد قدرة التحمل لتلك العقبات .

أصابت الشعب الصومالى الذى كان متحمسا للوحدة الوطنيه خيبة أمل كان سببها الأول القبلية التى لم يتوقعها ، وعدم وجود خبرة لتحمل المخاطر التى قد

تواجهه ، مما سبب أن بعض العناصر التى أخذت دوراً مهمًا فى المطالبة بالحرية وكانوا متحمسين للوحدة الوطنية ابتعدوا عن الساحة السياسية وقيادة الوطن إلى بر الأمان . تلك مشكلة تتعلق بجميع قيادات الأفارقة حيث إن التحديات القبلية أضاعت حلم كثير من القادة الأفارقة الذين كانوا يحلمون بوحدة العالم الحديث فى القارة السوداء ( New World Negroes ) . والذين يرغبون فى توحيد إفريقيا مثل : جومو كينياتا ( كينيا ) وكوامى نكروما ( غانا ) وغاوندى اسكيوا ( نيجريا ) لمينى جينى ( سنغال ) وسيكى توري (غينيا )[٢٦] (١٩٦٨م) .

عندما انحرفت الحركات التى كانت تكافح للحرية وأثرت القبلية فيهم سلبا ونال الشعب الصومالى حريته عام ١٩٦٠ م ، أدت الطبقة التى كانت تدير الدوله (State Class ) والطبقة البرجوازية التى ظهرت فى ذلك الوقت إلى تقوية وحدة القبيل لاستخدامه لمصالحهم الخاصه سواء كانت ، إقتصادية أو سياسية ، وزيادة الأرباح التى يحصلونها من عملياتهم التجارية ، واتخاذ القبيل منفذاً يقربهم إلى الدولة ، تلك الطبقات التى كانت تسعى للتأثير على المجتمع وفرض آرائها عليه كانوا يستخدمون شعارات قبلية موثرة وفعالة ( Tribal Ploy ) وذلك لكسب أصواتهم[٢٧] ، بالإضافة إلى ذلك كانوا يستدينون ديونا ضخمة من رجال الأعمال وأصحاب الأموال ثم يوزعون تلك الأموال على الشعب لفوزهم فى الانتخابات ولكى تتاح لهم فرصة للسيطرة على الملكية العامة والتصرف فيها كما يشاءون[٢٨] .

فى الانتخابات البرلمانية عام ١٩٦٩ م كان هناك ١٠٠٢ مرشح من ٦٨ حزباً يتنافسون على عضوية البرلمان الذى كان يتكون من ١٢٣ مقعدا ، هذه الأحزاب ال ٦٨ لم يكونوا مختلفين فى المبادئ وإنما كانوا مختلفين فى الاسم والقبيل الذى كان الحزب تابعا له فقط ، وكان الهدف الرئيسى الذى كان المرشح يستهدفه من وراء حصوله على المقعد البرلمانى ، استثمار الملكية العامة وتحويلها إلى ملكية خاصة .

فعند التنافس على عضوية مجالس الدولة يستغل السياسيون البرجوازيون القبلية .

فى الوقت الذى كان السياسيون الصوماليون يؤمنون أن القبلية هى السلاح الوحيد الذى عن طريقه يتم التأثير على الشعب وإقناعه ، حيث إنها تثير عاطفة الأفراد ، فإنهم (أى السياسيون) حاولوا بكل القوة إحياء القبلية وتلك مشكلة تعانى منها معظم الدول الإفريقية .

أعرب رئيس كونغوا ألفونس مسامبه ، أن القبلية شبكة صيد من السهل جدًا أن يقع شعب كونغوا فيه بسهولة وحذر أن تكون القبلية الطريق المؤدى إلى الهلاك[٢٩] .

إن مستوى التمسك بالقبلية الذى وصل بلادنا آنذاك أوضح أن الانتخابات التى جرت فى الوطن الصومالى عام ١٩٦٩م هو أساس النجاح فقد كان هناك مرشحين لعضوية البرلمان من محافظة عيرجابوا أحدهما رجل أعمال مهنته قبل ذلك سائق سيارة وكان لديه معلومات غزيرة عن الشعب الصومالى ، وخاصة الشعب الذى يقطن نواحى المحافظة حيث كان خبيرا فى التركيب القبلى الصومالى ، أما المرشح الاخر فكان شابًا صوماليًا متعلمًا تخرج فى كلية الحقوق فى إحدى الجامعات البريطانية ، وبعد تخرجه مارس المحاماه وأصبح أحد المحامين البارزين ، ولكنه رغم علمه وكفاءته فى إدارة شئون البلاد عن طريق المجلس التشريعى لم يفز فى الانتخابات البرلمانية وإنما فاز بها رجل الأعمال ، رغم عدم حصوله على أى مؤهل دراسى .

وعندما استفسرت ،كيف فاز ذلك الرجل الأمى الذى ليس لديه أى مؤهل دراسى، على المحامى الذى درس القانون ؟ حدثونى عن ذلك الرجل الذى فاز فى الانتخابات وقالوا لى إن هذا الرجل دار حول المدينه ليقابل سكانها فردًا فردًا وكان أول سؤال يوجهه لأى فرد يقابله ، ما اسمك ؟ وعندما يجيب عن السؤال ويخبره عن اسمه يقول له مستعينا بخبراته الواسعه عن الناس : أليس أبوك فلانًا ابن فلان ؟ وأمك فلانة بنت فلان ؟ ومن قبيلة فلان ؟ وعندما يجيب الشخص عن كل أسئلته بنعم يقول له مرة أخرى ، أعرفك أنت وأبوك وقبيلتك تمام المعرفة وتريد أن تنتخب هذا الشاب لعضوية البرلمان رغم أنه ليس لديه أدنى معلومات عن مجتمعنا وعن قبائلنا!!

وهكذا اختاره الناس ليكون نائبا برلمانيا .

فإذا كان الشعب الصومالى لديه وعى سياسى ناضج ويتمتع بحرية كاملة عن القبلية لم يكن ليختار هذا الرجل الذى لا يحمل أى مؤهل دراسى وكان من الممكن أن يختار هذا الشاب المتعلم والذى باستطاعته أن يقدم إنجازات لمدينته ولشعبه.

وبالإضافة إلى ذلك كان من الأسباب التى أدت إلى أن يفوز بعضوية البرلمان أعضاء غير مستحقين ، الأموال الضخمة التى كانت تستخدم فى عمليات الانتخابات حيث كان باستطاعة المرشح البرلمانى أن يشترى أصوات قبيلة كاملة ، وكما هو ثابت فى التاريخ أن بعض المرشحين استخدموا فى مسابقة الانتخابات عام ١٩٦٩ م ٣٠,٠٠٠ ألف دولار فى وقت كانت ميزانية الوطن ثلاثين مليون دولار[٣٠] ،[٣١] .

وتم صرف تلك المبالغ الطائلة لانتخاب مرشحين فى عضوية البرلمان ، بمعنى أنه وصلت تكاليف الانتخابات ثلاثين مليونا وستون الف دولار وبالمقابل يصبح مقدار العجز فى الميزانية ستين الف دولار وهذا يعنى أن المرشحين ، استخدموا كل ما كان يملك الوطن من دخل لتلك الانتخابات ولم يتم بناء مشروع واحد لمصلحة الوطن والشعب .

قام رئيس الوزراء آنذاك بسحب مليون ومائتين وخمسين ألف دولار (١,٢٥٠,٠٠٠) من خزينة الدولة وقدم هذا المبلغ الضخم للمرشحين للفوز بعضوية البرلمان فى الفترة ما بين ( يناير حتى أكتوبر ١٩٦٩ )[٣٢] .

وجدير بالذكر أن تلك المبالغ الضخمة تم استخدامها لعملية البيع والشراء لأصوات الناخبين حيث إن تلك الأصوات مهمة جدا بالنسبة للمرشح أثناء عملية الانتخابات فقط ثم هى بعد ذلك لا تساوى شيئا ، ولعلهم بذلك أرادوا أن يدفع المرشحون مقابلاً أو تعويضاً لكل شخص ضيع وقتاً أثناء الإدلاء بصوته[٣٣] .

ولم يكتف المرشحون بهذا الحد بل وصل الحال إلى شراء أصوات صورية غير

موجودة فعلا . قال لى دبلوماسى صومالى كان من اللجان التى كلفت لمراقبة عملية الانتخابات بها وكان أحد مراقبى مدينة قرضو فقد قال لى هذا الدبلوماسى : إن عدد الأصوات التى تم فرزها فى الانتخابات التى جرت فى تلك المدينة حوالى مليون صوت فى حين كان عدد سكان تلك المدينه وضواحيها خمسة وعشرين الفا وتسعمائة وسبعين فرداً[٣٤] . أى أن عدد الأصوات وفقا لإحصائيات عام ١٩٧٥ م أكثر من عدد السكان حوالى ٤٠ مرة .

ووضح ذلك أيضا الأستاذان / لاتين وسمتر حيث قالا إن عدد الأفراد الذين أدلوا بأصواتهم – بنعم – كانوا أكثر من عدد السكان فى الوطن فى أول استفتاء للدستور الصومالى[٣٥] .

وصلت الحملة الانتخابية في القرنى والمناطق النائية وهى المرة الوحيدة التى يخطر على بال المرشحين أن هناك أناس صوماليون عائشون فى القرى والبادية وفى تلك الانتخابات جاء كثير من الناخبين من إقليم الصومال الغربى القروى ( أثيوبيا ) للحصول على كثير من الأصوات[٣٦] .

عندما سيطرت القبلية والرشوة فى العلميات الانتخابية ظهرت عدة مشاكل لم تكن موجودة من قبل وهى : –

أ – عندما يتم تحالفات قبلية بين عدة قبائل على حساب قبائل أخرى ضعيفة قد يأتى تصادم قبلى ، لأنه اذا كان هذا التحالف مبنيا على مبدأ من المبادئ فإن فرصة أى فرد أو أى حزب كانت ضعيفة فى وقت من الأوقات يكون لديها أمل حتى ينضم عدد آخر من الناس إلى مبادئه أو يغير هو موقفه ، أما الشخص الذى غلبت قبيلته فلا يستطيع أن يغير قبيلته ويفقد أمله وهذا هو السبب الذى أنشأ المشكلة.

وفى إحياء العداوة القبلية التى كانت تقع بين القبائل فى القدم ، قالت الدكتورة كارتر داخل برازفيل ( كونغوا ) : إن الحركات السياسية والحملات الانتخابية هى

التى أدت إلى إحياء التحالفات القديمة والتى كانت مبنية على القبلية والتى كادت أن تنسى تماما[٣٧] .

لأن التحالف القبلى هو السبب الرئيسى الذى أدى إلى الفوضى التى شهدتها كونغوا عندما كانت تستعد للحرية [٣٨] ، [٣٩] . رغم أن الانتخابات كانت حرة إلا أنه يمكن أن يقال : إنه لم يكن يتناسب مع النضج السياسى الذى وصل إليه المجتمع الصومالى آنذاك .

**ب ــ** النواب الذين فازوا فى الانتخابات بذلوا مزيداً من الجهد لفوزهم فى الانتخابات القادمه حيث إنهم يسعون إلى احترام زعماء القبائل الذين أعطوا لهم أصواتهم ولم يسعوا إلى احترام المسؤلية التى يتحملونها لتحقيق مطالب الأمة .

كتب السفير محمد عثمان[٤٠] وكان سكرتيرا فى مكتب وزير فى الستينات : كنت جالسا ذات يوم فى مكتبى ( مكتب السكرتارية ) ودخل علينا عضو من أعضاء البرلمان وكان حتما من النواب الذين ساهموا فى تعيين هذا الوزير حيث كان النظام « انتخبنى أنتخبك » ورغم وجود عدد آخر من أشخاص كانوا ينتظرون الوزير قبل مجيء النائب إلا أن الوزير حينما جاء طلب السّماح للنائب بالدخول . قال السكرتير إن الشئ الوحيد الذى كان يجرى فى مكتب الوزير حتى انتهاء العمل اليومى كان الضحك – القهوه – والمشروبات الباردة التى كانت تقدم لعملاء الوزير و للوزير وللنائب البرلمانى .

كان من الأفراد الذين كانوا ينتظرون مقابلة الوزير رجل أعمال كبير جاء للمكتب لمناقشة مشروع استثمارى ، وفى نهاية ساعات العمل عندما تأكد التاجر أنه لن يستطيع مقابلة الوزير قام وهو يبدو على وجهه آثار الغضب قائلا : إنه سوف ينسحب من المشروع الذى كان يريد إقامته وقال أيضا : إنه سوف يستخدم أمواله فى العمليات الانتخابية ليكون عضوا فى البرلمان حتى يكون شخصية مهمة لا تنسى فى الاستعلامات . وهذا أسلوب قد يحول النظام الديمقراطى إلى نظام مستبد . ومن

أسس الديمقراطية اتباع قرارات الأغلبية والحفاظ على حقوق الأقلية .

جـ ـ إذا ارتبطت الانتخابات بالقبلية والرشوة فإن ذلك يؤدى أن تسيطر فئة قليلة من الناس على الوضع الاقتصادى والسياسى للبلد .

الفيلسوفان روسييه وماركس اتفقا على أن عدم المساواة فى الحقوق المالية يؤدى إلى عدم المساواة فى الحقوق السياسية .

د ـ أن العرف الذى كان سائداً قبل الحرية كان نظاما ديمقراطيا إذا نظر فى اتخاذ القرارت النهائية وكان صوت كل فرد يتمتع باحترام ، ولكن انتخابات القادة الزعماء كان وراثيا حيث لا يمكن التنافس فيها . النظام الديمقراطى الذى اتخذناه منهجا لنا كان عكس النظام التقليدى ( العرف ) الذى تعودنا عليه حيث كان فى العهود السابقة منصب القائد ومنصب النائب البرلمانى يتمان بالانتخاب المباشر أما القرارات النهائية فكانت تتخذ عن طريق جهات معينة وهذا يؤدى إلى نشوء تصادم بين النظامين القديم والجديد .

بالإضافة إلى ذلك كان هناك مشكلات تكلمنا عنها فيما سبق وهى عدم المساواة بين الطبقات فى المجتمع الصومالى ، وقد يرجع ذلك إلى عدم سبق نظام حكم يؤثر فى حياتهم . قال دكتور أمريكى كان أستاذا فى إحدى الجامعات الصومالية ، كلية التربية ( Lafole ) ١٩٦٩ م كان هناك لقاء يومى بين رؤساء أقسام الكليه لمناقشة المنهج الدراسى والمشاكل التى قد تواجه الأساتذة ، قال الدكتور : مرت على فترة طويلة لكى أفهم ما يجرى داخل الكلية ، ومن الغرائب والعجائب التى مرت على أثناء وجودى هناك عندما رأيت سائق سيارة وطباخ الكلية يحضران اجتماعات الكلية ويتناقشان مع الأساتذة فى نظام الدراسة ولم تكن هذه مجرد مناقشة وإنما كان ( أى السائق والطباخ ) مصممين على فرض رأيهما على الأساتذة والمتخصصين الآخرين ، ولكن الموقف الذى كان أكثر غرابة حينما أناقش مع وزير صومالى موضوعات سياسية يتدخل سائق سيارة الوزير ، وأغرب من هذا كله أن

السائق كان ينادى الوزير بلقبه[٤١] .

فى الحوادث المذكورة أعلاه عندما يقرؤها القارئ ينبغى ألا يظن أن المجتمع الصومالى بهذا السوء وأن القادة الصوماليين جميعًا هم كذلك ، ولكن يجب على القارئ أن يحاول تصحيح الأخطاء .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCH & STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

## ثانيا: الحكم العسكرى والقبلية

عندما اختلطت المبادئ المختلفة فى النظام الحديث ، مع النظام التقليدى ، القبلية ، الإسلام ، الوطنية ، والديمقراطية وكانت اليد العليا للقبلية ، وصل المجتمع مرحلة النضج الكامل مع التغييرات السريعة وهذا أدى إلى اغتيال الرئيس الصومالى عبد الرشيد على شرماركة فى ١٥ أكتوبر عام ١٩٦٩م أثناء تواجده بإحد الأماكن العامة ، وبعد اغتيال الرئيس شرماركة بخمسة أيام فقط قام ٢٤ ضابطا من ضباط الجيش بالاستيلاء على الحكم ، حيث قاموا بانقلاب عسكرى وحصلوا على مساندة شعبية لم يسبق لها مثيل ، بعد إعلانهم فى أول خطبة لهم عزمهم القضاء على القبلية واستعمال كل الوسائل المشروعة للوصول لهذا الهدف . وكان ذلك فى ٢١ أكتوبر عام ١٩٦٩ م وكان من المقرر اختيار رئيس جديد للبلاد بعد اغتيال الرئيس السابق وقبل الانقلاب العسكرى بيوم واحد ، وفعلا شعر الشعب الصومالى بضعف القبلية فى أول خمس سنوات من الحكم العسكرى الذى قام به الضباط ، رغم قيام النظام العسكرى باستخدام القبلية وتقسيم الناس إلى فئات[٤٢] ويتضح من ذلك أن الشعب الصومالى كان متعطشا للقضاء على القبلية ومحاربتها ولكنه فشل فى تحقيق ذلك عدة مرات .

فكان الحل الوحيد لإنقاذ الوطن من مخاطر القبلية فى ذلك الوقت أن يستولى الجيش على نظام الحكم ، وبعد أن استولى الجيش على نظام الحكم كان أول قرار اتخذه النظام العسكرى تجاهل المبادئ القديمة والدستور القديم والإتيان بمبادئ جديدة لم يستوعبها بعد المجتمع الصومالى ، مثل مبدأ الاشتراكية على رغم عدم

ملاءمته لتركيبة المجتمع الصومالى ، حيث لا يتألف الشعب الصومالى بطبيعته من طبقات ، والجدير بالذكر أن النظام الاشتراكى ينشأ من الصراع الطبقى . بالإضافه إلى ذلك كان من العادات الجديدة التى جاء بها النظام العسكرى عدم الاشتراك فى اتخاذ القرارات ، بحيث يتخذ القرار من جهات معينة فقط دون الرجوع لأى جهات أخرى لها صلة بهذا القرار وفى نفس الوقت يكون متخذ القرار هو نفسه منظم الانتخابات الرئاسية مما يؤدى إلى تركيز السلطة فى يد رئيس الجمهورية أو المحافظ أو رئيس الوحدات المحلية ... إلخ وجميع هؤلاء الرؤساء عسكريون .

ومن النظام العسكرى أنه على أصحاب الرتب الأدنى أداء التحية لأصحاب الرتب الأعلى وعليهم أيضا تنفيذ الأوامر العسكرية سواء كانت صحيحة أو خاطئة وعلى سبيل المثال اذا تأخر عسكرى عن عمله ولو دقائق فإن الضابط الأعلى رتبة هو الذى يقرر نوع العقوبة التى سوف توقع عليه دون الرجوع إلى أحد ، وبالتالى لا يعرف فى معسكرات الجيش ما يسمى بالعفو بين العسكريين وكذلك ليس هناك ما يسمى بنظام التشاور .

عندما يستولى هذا الضابط وأمثاله على حكم البلاد كلها أو جزء منها فإن أول خطوه يخطوها هى إلزام الناس بانضباطهم لحكم القيادة مثل انضباط العسكريين حكم قادتهم فى القواعد العسكرية ، وإذا لم ينفذ الناس أوامر هذا الضابط العسكرية فإنه يفرض عليهم عقوبات عسكرية كالإعدام ، السجن والتهديد . والفرق بين هذين النظامين هو التخطيط وسياسات متتالية تحتاج إليهما القيادة الوطنية ، وأوامر عسكرية تحتاج إليها القواعد العسكرية .

عندما تجاوز القمع الحد المعقول ، بل وأصبح المجتمع الصومالى غير قادر على التعبير عن رأيه ، شعر الشعب الصومالى بالضغوط التى تمارسها الحكومة العسكرية عليه حيث كان رد فعله سلبيا وأدى ذلك إلى نشوء معارضة ساخنة ، وكان الجواب الذى أجابت به الحكومة عن رد فعل الشعب شديدا مثل الاعتقالات والإعدامات

وعقوبات أخرى قاسية .

ونفذت تلك العقوبات على صفوف الجيش فى أول الأمر حيث تم اعتقال كبار ضباط الجيش آنذاك مثل العقيد قورشيل وزير الداخلية للحكومة العسكرية وأحمد محمد عدى محافظ مدينة مقديشو فى شهر مايو ١٩٧٠ م . وبعدها بسنة تم اعتقال الجنرال محمد فارح عينانشى نائب رئيس الجمهورية وجنرال جبيرى وزير الدفاع وعبد القادر طيل وتم إعدامهم فى يوليو عام ١٩٧٢ . واعتباراً من هذا اليوم أثيرت شكوك فى صفوف الجيش واستغل المحافظون سلطة الحكم على حساب المعارضيين . فى العالم الثالث كان القطاع الوحيد الذى يوجد فيه عمل جماعى متناسق هو قطاع الجيش ، ومن أجل ذلك كنا فى حاجة مرة أخرى إلى انقلاب عسكرى مادام أن القبلية قد عادت وانتشرت داخل النظام الإدارى ولكن بدأت المشكلة الحقيقية عندما انتشرت القبلية بين صفوف الجيش عندما كان الجيش يسيطر على الحكم مما أدى إلى انتفاء الثقة بين صفوف الجيش لتوليد ثورة أخرى .

وهذا قد أتاح الفرصة لشخصيات لا تستطيع تحمل المسؤولية للوصول إلى الحكم وقاموا بعد ذلك بأعمال عنف ضد الشعب كالإعدام الجماعى ، والسجن وعقوبات أخرى ، وأدى ذلك إلى الشعور بأن الوسيلة الوحيدة للتصدى لهذا النظام هو حمل السلاح، والوقوف ضد هذا النظام باستخدام القبلية للحصول على مساندة الشعب وعلى هذا الأساس ربطت الطوائف المؤيدة للنظام العسكرى والمناوئين له الخلافات التى نشأت بين فصائل المجتمع الجديد بتاريخ القبلية .

وأصبحت القبلية عقبة تقف ضد تطور الروح الوطنية التى كان من المفروض أن تأخذ نحو التطور وهذه القبلية لا تنحصر فى بلد واحد بل تشمل كثيراً من البلدان الإفريقية[٤٣] ، [٤٤] .

مما سبب إضعاف قدرة بعض المواطنين المخلصين الذين كانوا يرغبون وضع حلول مناسبة للتخلص من القبلية وآثارها إلا أنهم فشلوا فى ذلك بسبب تضاعف قوة القبلية.

## ثالثا : فترة قيام المعارضة

عندما توغلت القبلية فى أوساط القوات المسلحة التى كانت تمسك بزمام الحكم فى البلد وواصلت القبلية طريقها إلى ثكنات الجيش إلى أقصى الحدود ، وأدت تلك الظاهرة إلى فقدان الثقة والاحترام اللذين كانا بين العسكرى والضابط ولم يكن هناك من ينفذ أوامر من هو أعلى رتبة منه ، ونتج عن ذلك ضياع الاحترام والانقياد المبنى على الرتبة ، وقد شكلت الحكومة فى داخل الجيش جماعات موالية لها مثل ما يسمى وحدات الحزب فى القوات المسلحة ، وهذا يعنى اتخاذ موقف أكثر حذرا للحيلولة دون قيام الجيش بانقلاب عسكرى ضد الحكومة .

وما دام الموقف قد وصل إلى هذه الدرجة الخطرة ولم تكن هناك ثقة بين أوساط الجيش ، والقبلية قد تعمقت فى داخلهم وانتشرت أكثر انتشاراً ، فقد نتج عن ذلك فى نهاية المطاف ، نشأة جماعات مكونة من ضباط الجيش مبنية على القبلية فى داخل ثكنات الجيش ، مما أدى إلى قيام جماعة من تلك الجماعات بانقلاب عسكرى وذلك فى ٩ – إبريل – عام ١٩٧٨ م ولكن تم إجهاضه ، وألقى القبض على كثير ممن كانوا فى تدبير الانقلاب وتم إعدام ١٧ ضابطاً منهم ، إلا أن بقايا تلك الجماعة قد هربت إلى أثيوبيا المتاخمة للصومال وهناك أسسوا جبهة معارضة مسلحة وهى : الجبهة الصومالية الديمقراطية للإنقاذ[٤٥] .

وأدت تلك الفكرة إلى زيادة التشكك وانعدام الثقة إلى حد أبعد ، غير أن الموقف قد تحول من سيئ إلى أسوأ عندما اتخذت الحكومة إجراءات تعسفية غير مسئولة ربما كانت أكثر بشاعة ضد الأقاليم التى ينتمى إليها المتمردون وأدت تلك العملية إلى

زرع شجرة القبلية فى تربة خصبة صالحة للزراعة ، على العكس مما كنا نتمناه وهو استئصال جذور تلك الشجرة اللعينة .

إن هذه الجبهة المعارضة كان لها قوة فعلية خلال الثمانينات من ناحيتين وهما الناحية العسكرية والناحية الاقتصادية . ولكن الوضع قد تغير ، وتدهورت قوة الجبهة وذلك لأسباب منها سببان رئيسيان وهما :

١ – شعور الرأى العام الشعبى فى الصومال بأن تلك الجبهة قد تأسست على أساس قبلى وأن تلك القبيلة التى تنتمى إليها الجبهة لا تريد إلا فرض سيطرتها على الصومال وانفرادها بالحكم ، واستفادت الحكومة من هذا الشعور الشعبى مما نتج عنه ظهور تأييد شعبى للحكومة لم يكن موجوداً من قبل .

٢ – وجود القبيلة فى داخل الجبهة نفسها وكان ذلك سببا آخر لانهيارها .

أنه تم تأسيس جبهة أخرى معارضة فى لندن وهى الحركة الوطنية الصومالية[٤٦] وذلك فى شهر إبريل عام ١٩٨١ م . وتم هذا الحدث دون أدنى استفسار أو تساؤل عن ماذا استفادت الجبهة الديمقراطية للإنقاذ ؟ وماذا خسرت ؟ على العموم كانت الجبهتان فى داخل الأراضى الأثيوبية وكان هدفهم واحداً وهو إسقاط نظام الحكم فى الصومال بكفاح مسلح ولكن الجبهتين قد أخفقتا فى توحيد صفوفهما بسبب القبلية ، لذا يمكن القول أن الهدف الأساسى لكل من الحكومة – والحركة الوطنية الصومالية – والجبهة الصومالية الديمقراطية للإنقاذ ، هو الاعتلاء على عرش السلطة.

رغم أنه من المزايا الطيبة أن يكون هناك طموحًا ورغبة للتقدم لدى الفرد إلا أنه من المستحسن أن يسلك إليها أقرب وأبسط طريق وألا يكون ذا مصلحة خاصة إذا كان مسئولاً يراعى المصلحة العامة ولكن الحكومة وتلك الجبهتين قد سلكوا أعقد وأصعب طريق لنيل طموحهم ، وهو استخدام القبلية والسلاح .

عندما ضعفت الجبهة الصومالية الديمقراطية للإنقاذ ، نمت الحركة الوطنية الصومالية وترعرعت وبلغت سن الرشد ، واستمر الضغط والاضطهاد والقتل

والاعتقال ، والنهب والسلب التى كانت الحكومة تنتقم به من الشعب المقيم فى الأقاليم التى تنتمى إليها المعارضة ، وكسبت الحركة الوطنية الصومالية من تلك الضغوط الحكومية ضد الشعب تأييداً شعبيا واسع النطاق ، وذلك عندما نشطت العداءات القبلية القديمة .

وكان التزويد بالسلاح لكلا الجانبين متوافراً فى كل الوقت بحيث كانت الحكومة تساند جانبا وتساند المعارضة الجانب الآخر وذلك لإحياء العداء القبلى الذى كان سائداً بين القبائل فى تاريخ قديم كما أشار المثقفون : إن العداء القبلى القديم ، الكراهية العرقية ، العداء الدينى والتعصب الثقافى تخلق الطوائف والشخصيات الذين يسعون لنيل الحكم[٤٧] ... وهؤلاء الأشخاص لا يهتمون بمصلحة تلك الشعوب التى تؤيدهم وتؤازرهم وترفع رايتهم بشعور العاطفة ولكنهم يهتمون فقط بمصالحهم الشخصية كما ذكرنا آنفا .

من المعلوم أن كل شخص قام بقتل ونهب فإنه مجرم وسوف يأتى أمامه يوم ينتقم منه لأنه لا يوجد هناك تسامح فى مكان أصبح دم الأبرياء حلالا ورخيصا بسبب مصالح شخصية فقط . نحن نعلم جميعا بأنه من الممكن أن تتم المواجهة مع قوات نظامية لها قواعد معينة كما يمكن أن تنهزم تلك القوات إذا ما استخدمت ضدهم قوة تفوق قواهم ، وحيل استراتيجية سياسية ناجحة ، لكن ليس من السهل مواجهة أمة كاملة تستخدم نهجا سياسيا غريبا وهو العاطفة القبلية ، ولكن يبدو أن الحكومة التى كان يترأسها الرئيس الراحل/ محمد سياد برى قد نسيت تماما تلك الفكرة ، وذلك عندما قامت بتدمير مدن قديمة يرجع تاريخ إنشائها إلى مئات السنين ، وقتلت من كان فيها وأحدثت كوارث إنسانية لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الصومال . والشىء الغريب الذى يثير الدهشة هو أن الضباط الذين قاموا بتلك الجرائم كانوا يؤمنون بأنهم سيظلون فى الحكم لكنهم قد جانبهم الصواب عندما اعتقدوا ذلك كما قال ماكيندا[٤٨] :

كانت القوة الرادعة التى انتهجها الرئيس/ سياد برى كاستراتيجية حربية لتدمير معارضيه وإجبارهم بإلقاء السلاح قد أسفرت عن نتيجة عكسية عما كانت تتوقع الحكومة ، وهذا السبب هو الذى أطال أمد الحروب الأهلية فى الصومال ، وهو ما يناقض فكرة النظام ، لأن الحكومة قد جعلت الدعايات التى كان يستخدمها قادة القوات المعارضة ما يشبه حقيقة واقعية ، وتلك الدعاية كانت تستند على مقولات غريبة مثل : يريدون إبادة القبيلة الفلانية . عندما بلغت الحروب الأهلية ذروتها وذلك عام ١٩٨٨ م نتج من ذلك تشرد شعبى واسع النطاق ودمار شامل للبنية التحتية ، خاصة التدمير الشامل الذى أصاب البنية الاقتصادية مما أدى إلى عدم قدرة الحكومة بأن تفرض سيطرتها على زمام الأمور ، كما عجزت تماما عن ممارسة نشاطها السياسى فى البلاد . كانت القبلية قد تضخمت وبلغت رشدها وقد انعدم وجود قوات صومالية نظامية موحدة تنقذ البلاد والشعب من هذه الكارثة الحقيقية التى واجهتهم ، لذا أصبح من الضرورى أن تخطط الفصائل المعارضة تخطيطات سياسية متتالية وذلك لتأخذ بديلا احتياطيا إذا ما فشل التخطيط الأول الشىء الوحيد الذى كان يستمر ويتطور هو اتساع نطاق الفصائل المعارضة ، ففى عام ١٩٨٩ تم تأسيس المؤتمر الصومالى الموحد[٤٩] والحركة الصومالية للوطنيين[٥٠] .

كانت هناك صفات معينة تشترك فيها جميع الفصائل المعارضة وهى :

١ - كل فصيل من تلك الفصائل كان ينتمى إلى قبيلة معينة ، وأدت تلك الصفة بأن لا يحظى هذا الفصيل المعارض على تأييد عن باقى الشعب الصومالى .

وكان فى داخل كل فصيل من تلك الفصائل المعارضة خلافات قبلية ، كما أصبحت قوات الفصيل الواحد منظمة على هيئة كتائب مبنية على فروع القبيلة .

وكان السبب الرئيسى الذى أدى إلى انقسام قوات الفصيل الواحد انتهاء الحرب الباردة والذى نتج عن انعدام إحدى القوتين العظميين اللتين كانتا تتنافسان على الاستراتيجيات الجغرافية والاقتصادية حول المناطق الحيوية فى العالم ، كما كانت

دول العالم والقوات المعارضة لها فى العالم تستفيد منهما وكان كل جانب يستند على جهة معينة من القوتين العظميين . لذا كان التدهور الاقتصادى الناتج عن تلك التطورات قد أدى إلى أن تبحث المعارضة الصومالية على طرق جديدة للحصول على مؤن لقواتها ، وأسفرت تلك الفكرة بأن يحارب كل جندى من جنود المعارضة فى المنطقة التى ينتمى إليها ، ولكن أدت تلك الفكرة إلى زيادة حدة الخلاقات القبلية التى كانت بين الفصائل المعارضة أو التى كانت فى داخل الفصيل الواحد بذاته ، مما أسفر عن فقدان الثقة والاحترام فى داخل المعارضة ، وهذا أحد الأعمدة الرئيسية التى أدت إلى تدهور الوضع .

٢ – كان فى أوساط قوات المعارضة ، السخط والكراهية القبلية التى نتجت عن الدعايات التى كانت تستخدمها القيادة المعارضة والجبن الذى كان واضحا من مسئولى الحكومة السابقة الذين كانوا ينتقمون من الشعب البرىء عندما تقوم المعارضة بهجوم على أهداف الحكومة وأسفرت تلك الظاهرة إلى خلق جو من الكراهية ، على عكس ما كانت الحكومة متوقعة .

٣ – لم تكن الفصائل متفقة سواء بصفة خاصة أو عامة على هدف معين ، ولم يحددوا تخطيطا سياسيا واضحا لمستقبل الحكم فى البلاد ابتداء من قواعدهم حتى عودتهم إلى أرض الوطن وإمساكهم بزمام الأمور ، لكنهم كانوا متحدين فقط لإطاحة الحكومة كما أنهم لم يتساءلوا ماذا يحدث وراء ذلك ؟ وكيف يكون نظامهم بعد إطاحة الحكومة ؟ ولم يحددوا تخطيطا معقولا يتماشى مع ظروف أهاليهم .

وإذا نظرنا ما فى أثيوبيا وهو بلد متاخم للصومال ، وله نفس الظروف ، نجد أن نجاح الجبهة الأثيوبية الشعبية الثورية الديمقراطية[٥١] التى كانت ائتلافا من الجبهة الشعبية لتحرير التكراى[٥٢] ، والحركة الشعبية الديمقراطية الأثيوبية[٥٣] ، والمنظمة الديمقراطية لشعب أورومو[٥٤] وكان نموذجا مثاليًا ولا يمكن نسيان تلك النجاحات التى أنهت المشكلات السياسية وغيرها التى كانت سائدة فى أثيوبيا ، ومن الواضح أن

يرجع هذا النجاح إلى تخطيط سياسى وضعته : الجبهة الشعبية لتحرير تيكراى عام ١٩٨٥ م ، وكانت الجبهة تستخدم هذا التخطيط على الأقاليم التى كانت تخضع لسيطرتها عندما كانت تحارب مع قوات الرئيس الأثيوبى السابق منجستو هيلا مريم . وكانت تلك الجبهة قد مرت فى أصعب أيامها فى أوائل الثمانينات ، وذلك عندما استخدمت الحكومة ضدهم الحرب الاقتصادية «حرب المجاعة» وكانت الجبهة التيكرانية قد وضعت سياسة لها استراتيجيات واسعة الأفق فى الأقاليم التى تخضع لسيطرتها ، وكان من تلك السياسات إنشاء سوق حرة ، تشكيل لجان يتم انتخابهم من القرى «Baitos» ، رعاية البيئة والإصلاح الاجتماعى وتطوير حقوق المرأة .

كانت قوات – TPLF -EPRDF التى تمثل حوالى ثلثى تعداد قوات التحالف الموحدة ، وهذه القوات تتميز بسرعة الانقياد والانصياع للأوامر وكانت تلك الميزة ترجع إلى تربيتهم الأولية ، ويبدو من ذلك اختلاط العادات والتقاليد لشعب تيكراى ومبادئ الجبهة . وكان قادة الجبهة قد اختاروا عيشة البادية داخل قواتهم ، وأيضا كانوا يتداخلون ويتحدثون مع المزارعين والرعاة ، وقد انقطعوا تماما عن أى اتصال أو أخذ الأفكار من السياسين فى الخارج لقد سهلت لهم تلك السياسة بأن يفهموا فهما دقيقا كيفية ممارسة الحكم على الشعب ، كما كانت سياسة الجبهة الموحدة مبنية على الاختلاط بين النظام الرأسمالى الغربى وبين النظام الاجتماعى الاشتراكى[٥٥] .

بحيث يبتدئ تطبيق هذا النظام من القرى وينتهى إلى قائد الجبهة وهذا هو نظام إدارى مثلث الزوايا ذو قاعدة عريضة -Pyramidal From of Self govern ) ment ) .

وهذا هو النظام الإدارى السائد فى أثيوبيا حاليا ، مما يعطى كل قومية من قوميات أثيوبيا أن تتمتع بحكم ذاتى فى منطقتها ، كما تقوم الحكومة المركزية فى أثيوبيا بتخطيطات مبنية على أخذ التوصيات من الحكومات المحلية فى الأقاليم .

هكذا كان أى شخص يعقد مقارنة بين جبهات أثيوبيا والفصائل الصومالية المعارضة من حيث التخطيطات الإدارية يعرف مسبقا ما سوف يحدث فى الصومال من انهيار سياسى ودمار شامل ، وكان من السهل أيضا أن يتكهن المرء بناء أثيوبيا الجديدة ، بالإضافة إلى ذلك كان هناك سبباً آخر جعل الصومال ينهار وجعل أثيوبيا ترتفع ، وهو وجود روح الوطنية للرئيس الأثيوبى منجستو هايلا مريم كما يبدو، لأنه أنقذ البلاد من انهيار واضح مؤكد ، وذلك عندما رأى أن الموقف أصبح خطرا للغاية ، أخذ قرارا صائبا وهو التخلى عن الحكم وذلك للحيلولة دون وقوع مزيد من الدمار ، لأن أثيوبيا كانت فى ذلك الحين متماسكة هيكليا إلى حد ما ، وكان ذلك حرصا واضحا من الرئيس منجستو هيلا مريم من أن تظل أثيوبيا فى الوجود ، بالمقارنة بالرئيس الصومالى محمد سياد برى الذى كان يحاول أن يثبت قدميه على الأرض حتى فى لحظاته الأخيرة دون أدنى شعور بحياة ملايين الأبرياء الذين يموتون فى ويلات الحرب ليلا ونهارا ، وعدم شعوره بالدمار الشامل الذى سيلحق البلاد والعواقب الوخيمة من ذلك حتى فى المستقبل البعيد .

والحقيقة الواضحة تشير بأن القوات الموالية / لسياد برى كانت تحارب ضد الانتفاضة الشعبية حتى عندما وصلت الحرب فى داخل كل بيت فى كل مدينة من المدن الصومالية ، وكانت تلك القوات تواصل دفاعها حتى عندما وصلت القوات المعارضة قصر الرئاسة .

عندما تمكنت القوات المعارضة من طرد الرئيس سياد برى إلى خارج العاصمة مقديشو ، لم يقتنع سياد برى بذلك وبدأ ينظم عدة مرات هجوما على القوات التى أطاحت به عن الحكم ويبدو من ذلك مدى طمعه فى السلطة مهما كانت الخسائر البشرية والمادية . **هناك مقولة من الرئيس سياد برى فى وقت سابق** يقول : إذا طردونى من الحكم ، سوف يرثون منى أرضا بلا شعب وبلا موارد . ويبدو من هذه المقولة ، أن سياد برى قد اتخذ ترتيبات وتخطيطات بعيدة المدى ليقوم بتدمير

البلاد .

ويمكن القول أن القوات أو المنظمات المعارضة التى بسطت سيطرتها على العاصمة وبقية الأقاليم لم تتح لها الفرصة للتشاور حول إيجاد الحل الأمثل لأنهاء المشكلة ، والسبب فى ذلك أن الحكومة المطرودة تواصل الحرب ضد تلك المنظمات التى أطاحت بها . وأيضا هناك سبب آخر وهو خلاف حاد فى داخل المؤتمر الموحد نفسه الذى سيطر على العاصمة .

وهناك السبب الثالث من اسباب نجاح أثيوبيا حيث كان هناك دولاً كثيرة تساند أثيوبيا تمتلك الخبرة بهدف إنقاذها من الدمار مثل الولايات المتحدة وألمانيا وبريطانيا ، كما كان الأثيوبيون يقبلون نصائح تلك الجهات .

إذا فقدت الطبقة الحاكمة ثقة الشعب ومارست حكمها بالقوة ، ينتج من ذلك عدم انصياع المرءوس لأوامر الرئيس وعدم تصديقه . وقد كان من السهل تصديقه إذا كان الحكام يتمتعون بثقة الشعب . وينتج من ذلك محنة حقيقية وصعوبة بالغة ، وهى أن الحكم السابق يؤول إلى الفناء ( الانتهاء ) ، والحكم الآتى يصعب عليه أن يولد[٥٦] . وهكذا انهارت الدولة الصومالية ولم تتمكن من إنشاء دولة أخرى ، لمدة تزيد عن ست سنين ، وسوف نسمى تلك الفترة ، فترة انتشار الفوضى ( فقدان السيطرة ) .

## رابعا : انتشار الفوضى ( فقدان السيطرة )

يترك الإنسان بصمات على تاريخه ، لكنها لا توافق دائما ميوله واتجاهه . وذلك فإن الظروف والأحوال التى يعيش فيها ، وتلك التى سبقته هى التى تقوده بطريقة مباشرة إلى ما يجرى [٥٧] .

ابتداء من ٢٧ مايو ١٩٨٨ م ، أول يوم بدأ فيه انفجار حرب أهلية واسعة النطاق فى الصومال Full Scale civil war ، كانت الحكومة تفقد سيطرتها على الحكم بطريقة تدريجية ، والمعارضة المسلحة هى الأخرى ، وكان الجانبان قد لجآ فقط إلى إشعال نار القبلية .

واستفادت الحكومة من اعتمادها على القبلية التى كلفتها مبالغ باهظة بهدف إشعال شرارتها لإطالة العمر مما أصبح عرقلة واضحة على المعارضة وعلى مستقبل البلاد أيضا . وكان اسم القبيلة فى ذلك الوقت قد أصبح أعلى مرتبة من اسم الصومال ، ومن الأسباب الحقيقية التى أدت إلى ذلك : انتقام الحكومة من كل شخص انضم أحد أقاربه إلى المعارضة ، ومجازاة كل شخص أصبح أحد أقربائه محافظا .

وبعد الإطاحة بالنظام السابق فى شهر يناير ١٩٩١ م انضم كل شخص إلى قبيلة سواء كان مقتنعا بذلك أو غير مقتنع بها وذلك عندما بدأ الشعب ينتقم بعضه من بعض لسبب اسم القبيلة التى ينتمى إليها .

هذا ما حدث فى لبنان بسبب الخلافات التى نشأت بين المجتمعات المختلفة من حيث العقيدة . وقالت ماكدييسى : كنت أشعر باستمرار بأن الأديان أصبحت سمة علينا مثل كى الخرفان يقبل أو لا ، إن سمة قد عملت عليه بواسطة حديد ساخن وهى عقيدة أجدادنا(٥٨) .

وهى تقصد إذا كنت مسلما ، فإن المسيحيين سوف يقتلونك ، وإذا كنت مسيحيا فإن المسلمين لن يتركوك ، بصرف النظر عن موقفك السياسى ، ومواصفاتك الأخرى الشخصية . منذ انفجار الحرب الأهلية فى الصومال ، أصبح كل شخص متمسكا باسم قبيلته ، الذى أصبح كسلعة ممنوعة ، أو مخدرات خطيرة مطلوب القبض عليه تطارده الشرطة . نحن نعلم جميعا أن كافة الأسلحة الموجودة قد استخدمت فى الحرب الأهلية ومن تلك الأسلحة : المدافع الثقيلة ، الطائرات الحربية ، العربات المدرعة والمصفحة ، والألغام الأرضية وكافة أنواع الذخيرة دون أدنى اعتبار لحياة الأبرياء من النساء والأطفال والعجائز الذين أصبحوا ضحايا لتلك الحرب القذرة.

كان من ضحايا الحرب الأهلية ، نخبة من علماء الوطن قد يصعب بديلهم فى النصف الأول من القرن القادم .

لقد نشأت جماعة من القادة الصوماليين ، جمعت بواسطة القبلية أموالا طائلة ، وسمعة وشهرة قيادية ، ويسعى هؤلاء القادة لكسب فريد .

لا يوجد هناك من يتذكر الدمار الذى لحق ثروة البلاد والانهيار الكامل للبنية الأساسية ، ابتداء من عشر السنين الأخيرة التى كانت الحكومة الموالية للرئيس السابق/ محمد سياد برى قد تضعفت يوما بعد يوم إلى يومنا هذا (حتى هذه اللحظة التى أكتب فيها سطور هذا الكتاب) ، كانت الإدارة والعيون الاقتصادية فى أيدى من ليس لهم المعرفة الكافية لكنهم استفادوا فقط بالثورة القبلية مثل القرون الأخيرة للمملكة الرومانية عند ميلها إلى السقوط ، ووقوع السلطة فى أيدى المعارضة قامت بتدمير القوى الإنتاجية وتدمير الزراعة ومراكز التجارة .

وهذه المدة التى تصل إلى ثمان سنين (١٩٨٨ - ١٩٩٦م) تشير التقارير الواردة إلى أن نصف مليون شخص قد قتلوا بسبب الرصاصات الطائشة التى لا ترحم الصغير، ولا تكرم الكبير ، وأن نصف مليون آخر قد ماتوا بسبب المأساة التى ترتبت على الحرب ، وأن ربع مليون طفل دون سن الخامسة قد هلكوا ، كما أن ٨٠٪ من الباقين معرضون للخطر بسبب سوء التغذية ، كما أن أربعة ملايين وخمسمائة ألف شخص كانوا يسترحمون من أيد أجنبية . كما تم تشرد مليونى شخص فى الداخل ، كما لجأ مليون إلى الدول المجاورة[٥٩] ، وأن نصف مليون تقريبا قد هرب إلى البلدان التى لا تتاخم الصومال وذلك ما بين ، جنوب إفريقيا ، نيوزيلندا ، أمريكا ، وفنلندا[٦٠] .

وصل معدل الوفيات فى بعض الأماكن إلى القمة حيث كان ٣٦٣ شخصًا يموتون لكل ألف شخص سنويًا[٦١] ، وهذا يدل على أن الشعب كله قد يموت خلال ثلاث سنوات ، إذا سار معدل الوفيات على هذا النمط . ويقصد من ذلك أن الشخص يختار . « إن الوضع فى الصومال قد جعل الناس يختارون بأرجلهم[٦٢] فقط » ، الجهة المناسبة للهروب ، وأصبح من الضرورى أن يهرب . وذلك عندما بدأ المجتمع العالمى بحملته المعروفة ـ إعادة الأمل ـ لقد تنطبق علينا الصفة التى أشار إليها ماكيفالى : إذا تقاتل الناس جميعا فإنهم مهتمون بتلك الحرب ـ إذا لم يقوموا وقاية من هذه الحرب ـ بتشكيل سلطة قوية[٦٣] .

إنه لمن الغباء إذا لم نفهم الآن ما هى الأسباب الحقيقة التى تسببت فى تلك المأساة ، وذلك كى نستفيد منها مستقبلا لكى لا نسلك مرة أخرى طريق الجحيم .

تدخل القبلية فى المرتبة الأولى من هذه الأسباب ، كما يأتى فى المرتبة الثانية من هذه الأسباب هؤلاء الأشخاص الذين أثاروا القبلية كى يستخدموها لأغراض معينة ومصالح شخصية ، ويأتى فى المرتبة الثالثة أولئك الذين استحوذت عليهم العبارات الرنانة وهم الذين خضعوا لهؤلاء الطغاة وانقادوا تحت راياتهم .

لا توجد جهة أو جماعة أو شخص معين تتفق عليه الأمة الصومالية بأنه كان مسئولا عن هذا الانهيار الذى حدث فى الصومال . مما أسفر عن ادعاء كل شخص بأنه برىء من هذه التهمة .

إن المقولة التى قالها الرئيس الغانى / جيرى جون رولنجز ، رغم أنها كانت موجهة إلى شعب غانا ، إلا أنها كانت تنطبق على الشعب الصومالى فى وضعه الحالى ، قال الرئيس رولنجز : إذا كسر طفل كوبا يقول لأمه أنا لم أكسره لكنه انكسر[٦٤] .

إن الذين يمارسون القبلية ويستخدمونها كسلاح أول لهم ، يمثلون فى المرتبة الاجتماعية (المكانة الاجتماعية) تلك المكانة التى كانت تمثله الكنيسة فى المجتمع الأوربى ، فى القرنين السادس عشر ، والسابع عشر ، حيث كانت الكنيسة تقوم بإعدامه شنقا ، أو إساءة سمعته فى المجتمع كل شخص لا يطيع أوامرها ، وذلك حتى لو اخترع علما حديثا من الممكن أن ينتفع به .

وذلك كى لا يحدث عصيان على الكنيسة ، أو ظهور عناصر منفتحة تناقش الكنيسة وتجادلها ، وكما نعلم جميعا أنهم قد أحرقوا العالم الكبير جاليليو الذى ينتفع بعلمه حتى يومنا هذا .

إن هؤلاء الذين يثيرون القبلية كى يستفيدوا منها لمصالحهم وأهدافهم الشخصية ، يرون أن الشخص الذى لا ينتمى إلى قبيلتهم ، والذى لا يؤمن بالقبلية أساسا إذا رد عليهم كما هى الحقيقة ، يرون أن هذا الشخص يعارضهم بسبب عدم انتمائه إلى قبيلتهم ، ثم يتجهون إلى قبيلتهم وهم يصرخون بأعلى صوتهم ، أين أبناء القبيلة الفلانية ، بهدف كسب تعاطف قبلى منهم .

أما إذا عارضهم أحد أبناء قبيلتهم ويقول لهم : «ينبغى أن تكفوا عن إشعال نار القبلية فى داخل الأمة» يقولون : إن هذا الشخص ذميم مغفل لا يدرى ما يدور حوله، لقد تخلت القبيلة عن دوره ، مما أدى إلى الوصول إلى مرحلة اليأس وكره

الحياة ، وهى تلك التى أشار إليها الفيلسوف Durkheim بأنها تؤدى إلى الاقتتال الإيثارى الانتحارى Alruistic Suicide[٦٥] .

لقد وقعت قصة طريفة ، أعتقد أنها سوف تشير إلى الموضوع ، كتبت تلك القصة من شاب صومالى كان مقيما فى السويد منذ فترة حيث أكد لى هذا الشاب بأنه يدفع كل شهر مبلغاً من المال يعتبر سهما من مبلغ كبير يخصص لشراء الأسلحة والذخيرة ، وذلك لاستخدامه فى حروب أهلية دائرة فى أحد الأقاليم الصومالية ، كما أكد لى فى نفس الوقت بأنه ضد هذه الحرب .

وعندما وجهت إليه سؤالا يقول : إذا كان موقفك ضد الحرب ، فلماذا إذن تدفع مالا لمساندة الحرب ؟ أجاب قائلا : أدفعه فقط خوفا من هؤلاء الذين يجمعون المساهمات ، لأن من يرفض دفع هذا الاشتراك ، سوف يفرضون عليه عقوبات وضغوطا ، كما يقومون أيضا بإساءة سمعته فى أوساط قبيلته ، وهذا حدث بالفعل . وأضاف قائلا : إن الجالية الصومالية المقيمة فى السويد التى تربطهم معرفة بهؤلاء أصبحت قسمين : قسم ينتمى إلى قبيلة أخرى ويرى هذا النوع هؤلاء عدوا لدودا ، وقسم آخر ينتمى إلى قبيلتهم لكنه يتعامل معهم بالضغط ، حتى أصبح رغما عنهم أن دفع الاشتراكات رغم علمهم بأنها غير حق ، وذلك عندما وصلوا إلى مرحلة خطرة للغاية ، من الممكن أن تؤدى إلى الجنون .

لكننى أعتقد ، أننا وصلنا إلى ساعة الصفر Zero hour لنتخلص من هؤلاء الطغاه الذين جعلوا القبلية ورقتهم الرابحة ، ويستخدمونها فى أغراضهم الخاصة .

## خامسا: السياسة المستقبلية

إن المجتمع البدوى هو الوحيد الذى لا يفكر من أين جاء ، وكيف جاء فى مكانه، وإلى أين يذهب ؟ وهل يستريح فعلا إلى ذهابه ، إذا كان الأمر هكذا ، فلماذا ؟ وإن لم يكن فلم لا ؟[٦٦] .

كى يتم التقويم على كل حكومة صومالية انحرفت عن مسارها سواء تم الاتفاق على الوحدة أو لم يتم ، ما هى الخطة المستقبلية ؟ مادام قد أصبح نظام السلاطين القديم الذى كان مبنيا على الوراثة Hereditary Hagiocracy وعلى ترتيب الأبناء بحيث يكون الأكبر ولى الأمر ثم بعد ذلك على ترتيب الأعمار Gerocracy ، لا يمكن تطبيقه فى عالمنا الحديث .

ما دمنا لم نستطع أن نتعامل مع دولة متعددة الأحزاب حيث إن تلك الأحزاب مبنية على قبائل مما يؤدى إلى انتشار الفوضى ، ولم تستطع القوات المسلحة التى كانت مسيطرة على زمام الحكم فى البلاد Authoritarian Millitary regime أن تقوم بدورها القيادى ، بصرف النظر عن الأخطاء التى دأبت عليها السلطة الحاكمة وسوء فهمها لمبادئها القيادية . هناك سؤال يتبادر إلى أذهاننا تلقائيا وهو ماذا سنفعل فى المستقبل ؟ إنه لسؤال ثقيل ويحتاج إلى تأن وتفكير عميق من المحللين السياسيين وذلك للتوفيق بين وضعنا الحقيقى وبين نظام الحكم . إن المجتمع الصومالى كله مستعد حاليا أن يخرج من السياسة الملفقة بالقبلية ، ولكن هناك سؤال

مهم للغاية وهو أين الطريق المؤدى إلى ذلك ؟. إنه من السهل طرح أفكار وجمع نظريات عدة ، ربما تكون متمتعة بتأييد واسع عند جمعها وكتابتها فى صفحة ما ، أو عند طرحها شفهيا ، غير أن تنفيذها يكون فى غاية الصعوبة ، ولسنا فى حاجة إلى ذلك لكننا فى حاجة إلى البحث عن اقتراحات وأفكار يكون بين عرضها وتنفيذها مراحل متتالية حيث تتلاءم مع البيئة الصومالية .

وتؤدى تلك الأفكار فى نهاية المطاف إلى الوصول إلى غايتنا . يرى بعض المواطنين قيام اتحاد فيدرالى ( Federal ) أو كونفدرالى ( Confederal ) تمتع فيه كل الأقاليم بالحكم الذاتى ، إلا أنه من الممكن أن ينفعنا بحيث تتمتع كل الأقاليم بالحكم الذاتى ، ومن الممكن أن نتكهن بأن ذلك سوف يسبب تصعيد حدة الخلافات القبلية ؛ لأن الشعب الصومالى غير ناضج لذلك وسوف ينتج من هذه المحاولة أن تنتشر السياسة المصلحية واستغلال السلطة بسبب تشتت السلطة مما يجعل العمل الإدارى غير متناسق ويجعل الحكومة المركزية قابعة فى قصر الرئاسة .

إن الطبقة المثقفة تعترف بأن لكل حكم على وجه الأرض أخطاء وفى نفس الوقت لا يستطيع أن تقوم بإرضاء الجميع ، وكما ترى غالبية الآراء ينبغى إيجاد نوع من التحمل ؛ لأنه مطلوب جدا إذا حدث خطأ ما على جماعة أو على شخص معين. كما ينبغى أيضا إيجاد استعداد من جانب المواطنين لتنفيذ السياسة الحكومية التى تستهدف الوصول للغاية المطلوبة ، وفى حالة عدم إطاعة المواطنين أوامر الحكومة . كما يحث Machiavelli الحاكم بأن يسلك الطريق الصحيح ، وإذا دعت الضرورة لابد أن يكون على علم كيف يسلك الطريق المعاكس[٦٧] .

لقد شكلت فى الصومال عدة حكومات سواء معترف بها دوليا أو غير معترف بها ، ولم تكن تتمتع تلك الحكومات برضاء جميع القبائل ، حيث تدعى بعض القبائل أنه ليس لهم عضو فى مجلس الوزراء أو لهم عضو هامشى . ولكنهم لم يتساءلوا عما يستفيدونه من هذا العضو الوزارى الذى ينتمى إلى قبيلتهم ؟

ومن المعروف أن بعض السياسيين يلعبون دوراً بازراً فى خلق البلبلة والشكوك بين الشعب والحكومة .

إن عدم الثقة بين الحكومة والشعب يمكن أن تسبب اتخاذ الحكومة إحدى الخطوات الثلاث الآتية :

١ – تعديلات وزارية شاملة أو جزئية مما ينتج عدم استيعاب المسئولين على مخططاتهم الإدارية التى قاموا بإعدادها كما يحدث إجهاض على إنجازاتهم .

٢ – إن بعض المسئولين قد سلك طريقا آخر لإرضاء كل القبائل حيث اختاروا من كل قبيلة وزيرا مما جعل عدد أعضاء مجلس الوزراء عدداً خرافيًا لا يمكن أن تتحمله الصومال ولا القارة الإفريقية مما أهدر الأهداف الحقيقية التى كانت وراء إنشاء الدولة حتى وصل الأمر فى نهاية المطاف إلى عدم معرفة اختصاصات الوزارات.

٣ – إن بعض المسئولين عند اتهامهم بعمل خطأ ما ، أو عند مبالغة بعض أخطاء قد وقعوا فيها ، وترويج ذلك فى وسط المجتمع يتخذون موقفا أكثر صلابة وعناداً ، مما يعطى فرصة ذهبية لهؤلاء الذين يسعون دائما لخلق البلبلة فى أوساط المجتمع ، وهذا يدل على أنهم قد وصلوا إلى هدفهم الحقيقى .

إذن كى نتجنب تكرار تلك المشكلات ، نحن فى حاجة إلى أفكار جديدة . مثل النظريات التى اخترعها الرئيس السوفيتى السابق ميخائيل جورباتشوف ، مثل **جلاسنوت** ( Glasnot ) ومعناها السياسة المفتوحة ، **ونوفاييى ميسلنيى** ( Noveye Myslenye ) ومعناها : نظام سياسى جديد ، حيث نوجه هذه السياسيات ضد القبلية ، بينما كان الاتحاد السوفيتى السابق يوجهها ضد النظام الشيوعى . ولكن **نوفاييى ميسلنيى** – ( وجلاسنوت لا يمكن تطبيقهما فى الصومال على وجه السرعة .

ولكننا فى حاجة إلى سياسة لها استراتيجية عميقة مكونة من اختلاط النظام العالمى الجديد والثقافة الصومالية .

## سادسا: التوصيات السياسية

كى يتم التخلص من القبلية ومشاكلها فإننى اقترح إضافة نظام حكومى للصومال بإقامة مجلسين جديدين وهما :

١ – تشكيل مجلس رئاسى يتكون من ثلاثة إلى خمسة أعضاء ، حيث كل واحد منهم يكون رئيسًا لفترة معينة تتراوح ما بين ثلاث وخمس سنوات ، حيث يشترك معه بقية الأعضاء فى اتخاذ القرارات ، وهذه الفكرة تتصدى للاتهامات التى كانت ضد قبيلة الرئيس .

٢ – أن يتم إنشاء مجلس شيوخ (Guurti Gu) دائم ، بحيث يتكون أعضاء هذا المجلس من السلاطين ، شيوخ القبائل والرؤساء المتقاعدين ... إلخ وسوف يشترك هذا المجلس مع المجالس الثلاثة الأخرى (مجلس الرئاسة – مجلس الوزراء – مجلس الشعب) فى أخذ القرارات كهيئة استشارية .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUTE OF ARAB RESEARCHES AND STUDIES
عضو اتحاد الجامعات العربية

# الهوامش

(١) Webster, 1988

(٢) Vail, 1989

(٣) Sklar, 1960 : 407

(٤) U. S. News, 1966 : 54

(٥) Skinner, 1968

(٦) Darke - Brockman, 1912

(٧) Weisleder, 1979

(٨) Lattimore, 1962 : 417

(٩) Skinner, 1968 173 - 174

(١٠) Edel, 1965 : 368 - 9

(١١) Colson, 1951 : 95 - 6

(١٢) Fried, 1968

(١٣) Kaptainjians 1994 : 222

(١٤) PRO, No. 5

(١٥) Vail And White, 1989 : 151

(١٦) Coleman, 1994

(١٧) SNS - Somali National Society

(١٨) Geshekter, 1982 : 8

(١٩) S.N.L - Somali National league

(٢٠) NUF - National Union front

USP - United Somali party (٢١)

Samatar, 1988 : 46 - 48 (٢٢)

SYl - Somali Youth League (٢٣)

GSL - Great Somali League (٢٤)

Samater, 1988 : 52 - 54 (٢٥)

Skinner, 1968 (٢٦)

Samater, 1989 (٢٧)

Kaptain Jins, 1994 : 228 (٢٨)

Alphonse, 1966 : 887 (٢٩)

Samater, 1989 : 111 (٣٠)

Lewis, 1988 : 204 (٣١)

Lewis, nd : 397 (٣٢)

Samater, 1989 : 144 (٣٣)

CDS, 1982 (٣٤)

Latin Samater, 1987 : 71 (٣٥)

Samater, 1989 : 111 (٣٦)

Carter, 1961 : 91 (٣٧)

Merriam, 1961 : 114 (٣٨)

Herskovits, 1962 : 346 (٣٩)

Osman, 1994 (٤٠)

Latin, 1987 : 43 (٤١)

Kaptain Jins, 1994, 288 (٤٢)

Emerson, 1962 : 113 (٤٣)

(٤٤) Cowan, 1958 : 68

(٤٥) Somali Salvation Democratic front - SSDF

(٤٦) Somali National movement - SNM

(٤٧) Skinner, 1968

(٤٨) Makinda, 1993 : 25

(٤٩) United Somali congress - USC

(٥٠) Somali Pariotic movement - SPM

(٥١) Ehiopian people's Revolutionary Democratic front EPRDF

(٥٢) Tigrenean people's liberstion front - TPLF

(٥٣) Ethioplan people's Democratic movement - EPDM

(٥٤) Oromo people's Democratic Organization - OPDM

(٥٥) Waal, 1992

(٥٦) Gramsci, 1971

(٥٧) Karl Mars - 18th Brumair

(٥٨) Makdisi, 1990 : 137

(٥٩) Samater, 1994 : 3

(٦٠) Diriye, 1996

(٦١) Drysdale, 1994 : 61

(٦٢) Muzenda . 1995

(٦٣) Machiavelli, 1950

(٦٤) CODESRIA, 1992

(٦٥) Thobson, 1982

(٦٦) Berlni, 1990

(٦٧) Orum, 1989

# المراجع


- Alphonsa Massaba Debat, (1966) Bulletin de l'Afrique Neire , No. 442 du 23 Novembre .

- Berlin,I. (1990) The Croaked Timber of Humanity : Chapters in the History of ideas, New York, Alfred Knopf .

- Carter, G. (1961) Independence for Africa . New York, Preager paper backs .

- CDS ( central statisitics department ) 1982, Census of population and livestock in somalia, 1975 - Vol. 1, Mogadishu, Somalia.

- CODESRIA (1992) Democratization process in Africa, problems and prospects, Proceedings Seventh CODESRIA General Assembly, 10 - 12, Feberuary 1992 , Dakar, Senegal .

- Coleman, J.S. (1994), Nationalism and Development in Africa, California .

- Colson, E (1951), The plateau Tonga of northern Rhodesia in seven tribes of British Central Africa, London .

- Colson, E. (1968) Contemporary tribes and the development of Nationalism .

- Cown , L. G. (1958), Local Government in west Africa, New York, N.W. Columbia University Press .

- Diriye, A.M. (1996) focusing on vulnerable groups of urban refugees : Somali women and children in Egypt (Research proposal), Cairo, Egypt .

- Diriye , A.M. (1996 A) Ma Abaal Gudee Waan Aargutaa. Qaahira .

- Drake - Brockman. R.E. (1912), British Somaliland ; London, Hurts and Blackett .

- Edel , May and Abraham (1965), African Tribalism . Some reflections of Uganda, Political Science Quarterly 80 : 3 .

- Emerson, R. (1962) From empire nation , Boston - Beacon - Hays, Denys .

- Fried , M.H. (1968) On the concept of "Tribe" and tribal society, In : Essays on the problem of tribe proceedings of the 1967 annual spring meeting of the American Ethnological Society (ed) Heln J , Washington D.C .

- Geshekter , C. (1982) : Entrepreneurs, livestock , and politics. Paper presented the 3rd annual conference of the Standford University / University of California , Barkeley Joint Center for African Studies, Berkeley, California , April , 1982 .

- Gibbons, H.A. (1917) The New Map of Africa, 1900 - 1916 , A History of European Colonial Expansion and Colonial Diplomacy, New York .

- Gramsci, A (1971) Selection From the prison note books . Trans and ed by Q. Hoave and J.N. Smith, New York .

- Herskovits, M.J. (1962) The Human faster in changing Africa, New Yrok Alfred Knopf .

Kapteinjns , L . (1994) Women and the crises of communal identity : the cultural construction of Gender in Somali History : In : Somali Challenge, From Catastrophe to Renewal ? Samater, A.I. (ed) Boulder, Colorado, USA .

- Karl Marx (1818 - 1883) On Historical materialism : A collection by progress publishers. Moscow : 1972 .

- Latin , D.D and Samater , S.S. (1987) Somalia Nation in Search of a state , Westview Press, Inc Boulder Colorado, USA .

- Lattimore. O. (1962) Studies in Frontier History , collected papers 1928 - 1958 London, Oxford Univ. Press .

- Lewis , I.M. (1988) A modern History of Somalia, National and state in Horn of Africa, Westview Press, USA .

- Lewis, I.W. (N.D) The politics of the 1969 coup .

- Machiavelli , N. (1950). The Discourse. London : Routledge & Kegan Paul .

- Makdisi, J.S. (1990) Beirut fragments, War memoir, New York, Presea Books .

- Makinda, S.M. (1993), Seeking peace from the choas : Humanitarian Intervention in Somalia . International Peace Academy, Occational papers . Boulder, Colorado, U.S.A.

- Mazenda, T.N. (1995) The Role of Social and Economic factors and Natural Disasters in forced population displacements in Africa . In Adis - Ababa , symposium .

- Merriam , A.P. (1961) Congo, background of conflict , Evanston , Month Western University Press .

- Orum , A. M. (1989) Introduction to political sociology . The social Anatomy of U.S.A. The Body politics, 3rd ed, New Tersey.

- Osman M.O. (1994) the Road to zero, Somalia Self - Destruction , Haan Association Publications, London .

- PRO (No. 5), Great Britain, Public Records Office , Colonial Records Office . Series 535 , No. 5 Cordeaux (30 June 1906) and Notes on military Transport .

- Samatar , A.H (1994) the Somali Challenges : From Catastrophe to Renewal. Lynne Rienner Publishers, inc coloreclo , U.S.A.

- Samater A (1989) The state and Rural transformation in Northern Somalia, 1884 - 1986 , University of Wiston Press, U.S.A.

- Samater , A.I. (1988), Socialist Somlia : Rhetoric and Reality . Zed Books Ltd. London and New Jersey .

- Skinner, E. (1968) Group dynamics in the politics of changing societies . The problems of tribal politics in Africa .

- Skler , R.L. (1960) The contribution of Tribalism to Nationalism in western Nigeria, Journal of Human Relations, Vol. VIII, 3/4 Spring - Summer 407 - 418 .

- Thompson , K. (ed) (1982) Emile Durkheim Key sociologists . Hami Hon, London .

- US. News and World Report (1966) International week Vol. LXI. No. 7 August 15, 1966 .

- Vail , I. and White L. (1989) Tribalism in the prehistory Malawi: in : Creation of tribalism in southern Africa .

- Vail , L. (1989) the creation of tribalism , in southern Africa, London .

Waal , A. (1992) World Policy Jounal Vol 42 .

- Webster, M. (1988), Webster's Ninth new collegiate Dictionary, Spring field , Massachusets U.S.A.

- Weisslecder, W. (1979) The promotion suzerainty between sedentary and nomadic population in Eastern Ethiopia, in : political Anthropology seat ss et el (eds), Great Britain .

معهد البحوث والدراسات العربية
INSTITUT DES RECHERCHES ET D'ETUDES ARABES
عضو اتحاد الجامعات العربية